

الكليات الست

إعداد

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

١٤٤١هـ / ٢٠١٩م





الطبعة الأولى: للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي : ١١٧٩٤
تليفون : ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشروعات الثقافية



الكليـــات الســت

إعداد

د. محمد مختار جمعة

جمعة، محمد مختار، ١٩٦٦ - .
الكليات الســت/ إعداد: محمد مختــار جمعة .ـ
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩.
١١٢ ص؛ ١٢ سم.
تدمك: ٨ ـ ٢٦٣٨ ـ ٩١ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨
١ ـ الإسلام - مبادئ عامة.
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٧٦٢٩/ ٢٠١٩
ISBN 978-977-91-2638-8
ديوى ٢١١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾

(هود: ٨٨)



مقــدمـة

الحمـد لله رب العالمـين، والصلاة والسـلام عـلى خاتم أنبيائـه ورسـله سـيدنا محمـد بـن عبـد الله، وعـلى آلـه وصحبـه ومـن تبـع هـداه إلى يـوم الديـن.

وبعــد :

ففي إطار مشروعنا التجديدي – المبني على وضع الأمور في نصابها من حيث التفرقة بين الثابت والمتغير، ورفع القداسة عن غير المقدس من الأشخاص والآراء البشرية، وقصر التقديس على الذات الإلهية وعلى كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، من خلال القراءة العصرية للنصوص؛ تلك القراءة الرامية إلى الخروج من دوائر الحفظ والتلقين والتقليد إلى فضاءات الفهم والتفكير، والتأمل والتدبر، والاجتهاد في ضوء مقتضيات الواقع ومستجداته – تأتي هذه القراءة

للـمقاصد الـعامة الـضرورية المـعبر عـنها بالـكـليات أو المقاصد الكلية.

وقد نبعت فكرة هذا الكتاب وتبلورت من شدة اهتمامي بقضية الدولة الوطنية وبيان مشروعيتها، وما وصل إليه حال بعض الجماعات المتطرفة المنكرة لفضل الوطن عليها، والتي حاولت وضع الناس في تقابلية خاطئة بين الدين والدولة، فإما أن تكون – في منظورهم – مع الدين أو مع الدولة وكأنهما نقيضان، مع أن الدين لا يَنشأ ولا يُحمى ولا يُحفظ في الهواء الطلق، إنما لا بد له من دولة تحميه وترفع لواءه عاليًا ، وقد قرر الفقهاء أن العدو إذا دخل بلدًا من بلاد المسلمين صار الجهاد ودفع العدو فرض عين على أهل هذا البلد: رجالهم ونسائهم، كبيرهم وصغيرهم، قويهم وضعيفهم، مسلحهم وأعزلهم، كل وفق استطاعته ومكنته، حتى لو فنوا جميعًا، ولو لم يكن الدفاع عن الديار والأوطان مقصدًا من أهم مقاصد الشرع لكان لهم أن يتركوا الأوطان وأن ينجوا بأنفسهم وبدينهم.

وقد نظرت في أمر هذه الكليات من حيث عددها وترتيبها فرأيت أنها ليست قرآنًا ولا سُنة، إنما هي آراء

واجتهادات في ضوء رؤية العلماء والمجتهدين لما يجب الحفاظ عليه باعتباره أمرًا ضروريًّا.

وبما أن الحفاظ على الوطن وعلى بناء الدولة وكيانها لا يقل أهمية عما ذكره العلماء من الكليات الأخرى، إذ لا يوجد عاقل ولا وطني شريف لا يكون على استعداد لأن يفتدي وطنه بنفسه وماله، فإننا نرى ضرورة إدراج حفظ الأوطان في عداد هذه الكليات، ولا سيما في زماننا هذا؛ حيث تتعرض أوطاننا للاستهداف ومحاولات التفكيك، مما يجعلنا نقرر وباطمئنان أن الكليات ينبغي أن تكون ستًّا، هي: الدين، والوطن، والنفس، والعقل، والمال ، و"النسل، والنسب، والعرض".

وقد عنيت في هذه الدراسة بالرؤية العامة للمقاصد وما ينبغي أن يندرج تحتها من الأمور الكلية، فالحفاظ على الدين مقصوده الأسمى الحفاظ على أصل الدين ومقاصده، أما عند التفصيل فقد يتقدم حفظ النفس على التمسك ببعض الفروع، فللإنسان المضطر أن يأكل من الميتة المحرمة شرعًا ما يحفظ به أصل النفس، كما أن الإنسان الوطني صاحب الدين قد يقتضي الأمر افتداءه لوطنه بنفسه وماله، وعليه أن

يلبي نداء وطنه دينًا ووطنية، كما أن الإنسان الحر الكريم قد يذود عن عرضه بنفسه وماله، وقد يذود عن ماله بنفسه، وفي الحديث الشريف: (منْ قُتِل دُونَ مالِهِ فهُو شَهيدٌ، ومنْ قُتلَ دُونَ دمِهِ فهُو شهيدٌ، وَمَنْ قُتِل دُونَ دِينِهِ فَهو شهيدٌ، ومنْ قُتِل دُونَ أهْلِهِ فهُو شهيدٌ)[1].

وقد يُحتمل الأذى اليسير لدفع الضرر الكبير، فقد يتسامح الإنسان في حق ماله أو جزء منه حفاظًا على نفسه، وقد يظهر مضطرًّا خلاف ما يبطن حفاظًا على النفس أيضًا، كمن أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، وكما قرر الفقهاء والأصوليون أن المفسدة اليسيرة قد تُحتمل لتحقيق مصلحة كبيرة، ولا تدفع المفسدة اليسيرة بتضييع المصلحة الكبيرة؛ مما جعلني أركز حديثي على المقاصد الكلية العامة، تاركًا الحكم على الفرعيات وترتيب أولوياتها لبحث كل مسألة على حدة في ضوء مقتضيات الأحوال والزمان والمكان، وما يقتضيه أو يحتِّمُه ويستوجبه فقه الواقع والمآل، إذ لم يكن مقصدنا من البحث حصر ما يتعلق به من الجزئيات والفرعيات، إنما كان المقصد هو

---

(١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الدِّيَاتِ، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ٤/ ٣٠، حديث رقم:١٤٢١، ط : مصطفى البابي الحلبي، مصر.

الرؤية العامة، وإلقاء الضوء على المقاصد الكلية، وفتح ساحات وآفاق أوسع أمام الاجتهاد والتفكير، ومراعاة مقتضيات العصر في رؤية شديدة الوضوح لما هو ثابت مقدس ينبغي الحفاظ عليه، وما هو متغير وغير مقدس قابل للاجتهاد وإعادة النظر، سائلًا الله ﷻ أن أكون قد وفقت فيما قصدت.

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية

المبحث الأول

مدخــل

إلى دراسة الكليــات الست

مدخـــــل

إلى دراسة الكليـــات الست

تحـدث العـلماء عن الـكليات فجعـلها بعضهم خمسًا هي: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض[1]، مع اختلافات يسيرة في تقديم بعضها على بعض أو تأخير بعضها عن بعض، وقد جعلها بعضهم ستًّا، فقال: هي: الدين، فالنفس، فالعقل، فالنسب، فالمال، فالعرض[2].

وعلى الرغم من أن معظم من تحدثوا في المقاصد بدأوا بالـدين، ومـنهم الـغزالي،[3] والآمـدي،[4] وغـيرهما، فإن بعضهم قد بدأها بحفظ النفس كالشوكاني؛ حيث قال:

(١) الفروق لأبي العباس شـهاب الدين المالكي الشـهير بالقـرافي ٤/ ٣٣، ط: عالم الكتب، ونفائـس الأصول في شرح المحصـول للقرافي ٤/ ١٩٣٢، والتقريـر والتحبير لابن أمير الحـاج ٣/ ١٤٤، ط: دار الكتب العلمية، بـيروت، والإبهاج في شرح المنهاج للبيضاوي، لعلي بن عبد الكافي السبكي ٢/ ١٥٢، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المستصفى لأبي حامد الغزالي ١/ ١٧٤، ط: دار الكتب العلمية.

(٤) الإحـكام في أصول الأحكام للآمدي ٤/ ٢٧٥، ٢٧٧ تحقيـق: عبد الرزاق عفيفي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

وهي: خمس أحدها حفظ النفس، ثانيها حفظ المال، ثالثها حفظ النسل، رابعها حفظ الدين، خامسها حفظ العقل[1]، وقال القرافي: هي: حفظ النفوس، والأديان، والأنساب، والعقول، والأموال، قيل: والأعراض[2]، وقال في موضع آخر: حفظ الدماء، والأعراض، والأنساب، والعقول، والأموال[3]، وفي موضع ثالث قال: ذكر حفظ النفوس، والعقول، والأعراض والأنساب والأموال [4] .

بل إن الإمام الرازي ذكرها مرة فقال: النفس، والمال، والنسب والدين، والعقل[5]، ومرة أخرى قال[6]: النفوس، والعقول، والأديان، والأموال، والأنساب، بما يعني أنه لا يوجد إجماع على عددها ولا على ترتيبها، ومن حكى الإجماع على ذلك لا يعتد بقوله؛ لأن الواقع العلمي ينقضه.

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ٢ / ١٢٩ .
(٢) الفروق للقرافي ٤/ ٣٣ .
(٣) شرح تنقيح الفصول للقرافي ١/ ١٦٤، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط: شركة الطباعة الفنية المتحدة.
(٤) الفروق للقرافي ٤/ ٣٣.
(٥) المحصول للرازي ٥/ ١٦٠، تحقيق الدكتور: طه جابر فياض العلواني، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٦) المرجع السابق ٥/ ٤٥٨.

على أننا نفهم أمر الكليات في إطار فهمنا الشديد الوضوح للثابت والمتغير، فالنص المقدس قرآنًا كان أو سنة نص ثابت، وما كتب حوله أو عنه من شروح، أو رؤى، أو استنباطات، أو اجتهادات في ضوء فهم النص فهو من باب القابل للتغيير، فما وافق عصره وزمانه ومكانه وكان مناسبًا لعصرنا وزماننا ومكاننا عملنا به وشكرناهم عليه، وحمدنا لعلمائنا الأوائل سبقهم إليه وحسن اجتهادهم فيه.

أما ما كان من هذه الاستنباطات والرؤى والاجتهادات والشروح مناسبًا لعصره ومكانه وزمانه، وأصبحت متغيرات عصرنا ومستجداته تتطلب إعادة النظر، والاجتهاد، والاستنباط، فإن لأهل العلم والتخصص الذين يمتلكون أدوات الاجتهاد أن يعيدوا النظر فيه وفق مقتضيات ومستجدات وواقع عصرهم وبيئتهم وظروف حياتهم.

وبما أن عدد الكليات تحديدًا وترتيبًا ليس نصًّا قرآنيًّا ولا نبويًّا، وإنما هي عملية اجتهادية في ضوء ظروف المجتهدين وعصرهم، فإنني أرى أن الحفاظ على الأوطان وبناء الدول واستقرارها ينبغي أن يدرج في إطار هذه الكليات.

والذي دعاني إلى ذلك هو تلك المفاهيم الخاطئة لدى بعض المتشددين والمتطرفين والجماعات والعناصر الإرهابية، التي تضع الوطن في مقابلة خاطئة مع الدين.

والذي ندين به هو أن مصالح الأوطان من صميم مقاصد الأديان لا تنفك عنها، وأن كل ما يقوي دعائم بناء الدولة الوطنية واستقرارها، ويؤدي إلى قوتها ورقيها، هو من صميم مقاصد الأديان، وكل ما ينال من بناء الدولة واستقرار الوطن ومصالح أهله بالتخريب، أو التدمير، أو الفساد، أو الإفساد ماديًّا كان أو معنويًّا: ماديًّا كالاستهداف، والتفجير، والتخريب، أو معنويًّا كبث الفتن، وترويج الأكاذيب والشائعات، والعمل على زرع الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، قصد هدم الدولة، أو إسقاطها، أو إضعافها، أو تقويض بنيانها، كل ذلك لا علاقة له بالأديان ولا علاقة للأديان به، إنما هي من ذلك كله براء.

فالأديان رحمة، الأديان سماحة، الأديان حضارة، الأديان تعمير، الأديان بناء، الأديان جاءت لسعادة البشرية لا لتعاستها، وحيث تكون مصلحة البلاد والعباد فثمة شرع الله ﷻ.

المبحث الثاني

حفـظ الديـــن

المبحث الثاني

حفـــظ الـديـــــن

الـدين فطـرة الله التي فطـر الناس عليها، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2]، ويقول ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ

(١) [سورة الروم، الآية ٣٠].

(٢) [سورة البقرة، الآية ٢١٣].

وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾(١)، ويقول ﷻ في حديثه القدسي:"إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا"(٢).

فلم يخلق الله ﷻ الناس ولا الكون عبثًا ولا هملًا؛ حيث يقول سبحانه وتعالى:﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾(٣)، إنما خلقهم لغاية حددها سبحانه وتعالى؛ حيث يقول في كتابه العزيز :﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ

(١) [سورة النساء، الآيات ١٦٣- ١٦٥].

(٢) صحيح مسلم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، حديث رقم : ٢٨٦٥، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) [سورة المؤمنون، الآيات ١١٥-١١٧].

﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾[١] ، على أننا نفهم العبادة بمفهومها الواسع، الذي يشمل - إلى جانب أداء العبادات والشعائر الدينية - إتقان العمل وعمارة الكون، وبناء الحضارات.

فالأديان السماوية كلها جاءت لسعادة البشرية وصلاحها واستقامتها، يقول الحق ﷻ مخاطبًا نبينا محمدًا ﷺ: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[٢] ، فالأديان قائمة على جلب المصالح للبلاد والعباد، ودرء المفاسد عنها، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: المعلوم من الشريعة أنها شرعت لمصالح العباد؛ فالتكليف كله إما لدرء مفسدة، وإما لجلب مصلحة، أو لهما معًا[٣].

ويقول رحمه الله: إن الشرائع إنما جيء بها لمصالح العباد؛ فالأمر والنهي والتخيير جميعًا راجعة إلى حظِّ المكلف ومصالحه؛ لأن الله عز وجل غني عن الحظوظ، منزه عن الأغراض[٤].

(١) [سورة الذاريات، الآيات ٥٦ - ٥٨]
(٢) [سورة طه، الآيات ١ - ٤].
(٣) الموافقات للإمام الشاطبي ١/ ٣١٨، ط : دار المعرفة، بيروت.
(٤) المصدر السابق ١/ ٢٣٤.

ويقول العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يخفى على عاقل أن تحصيل المصالح المحضة ودرء المفاسد المحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمود حسن، وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن، وأن درء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن، وأن تقديم المصالح الراجحة على المرجوحة محمود حسن، وأن درء المفاسد الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن، واتفق الحكماء أيضًا، وكذلك الشرائع على تحريم الدماء، والأعراض، والأموال، وعلى تحصيل الأفضل فالأفضل من الأقوال والأعمال[1].

فرسالة الرسل هي هداية الخلق، وإقامة الحق والعدل، ونشر الهدى والنور ومكارم الأخلاق، وتحقيق الرحمة للعالمين في الدنيا والآخرة؛ حيث يقول الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[2]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام ١/ ٤، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

(٢) [سورة الحديد، الآية ٢٥].

﴿خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[1]، ويقول ﷻ مخاطبًا نبينا ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وها هو خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام يدعو قومه إلى عدم التطفيف في الكيل والميزان، فيقول كما حكى القرآن الكريم على لسانه: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3].

وهذا نبي الله صالح عليه السلام يقول لقومه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[4].

وعندما نبحث عن الهدف الأسمى لرسالة خاتم الأنبياء والمرسلين نجد أنه يقوم على ركيزتين أساسيتين: الأولى هي الرحمة ، حيث يقول نبينا ﷺ: (إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ)[5]، وهي

---

(١) [سورة ص، الآية ٢٦].

(٢) [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧].

(٣) [سورة الشعراء، الآيات ١٨١ – ١٨٣].

(٤) [سورة الشعراء، الآيات ١٥٠ – ١٥٢].

(٥) المستدرك للحاكم ١/ ٩١، حديث رقم : ١٠٠، ط : دار الكتب العلمية، بيروت.

أخص خصوصيات رسالة نبينا ﷺ، أما الركيزة الثانية فهي الأعم، وتتضمن الأولى وتدعمها وتؤكدها؛ حيث يقول نبينا ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)[1].

فقد أجمعت الشرائع السماوية على ما فيه خير البشرية، وما يؤدي إلى سلامة النفس، والمال، والعقل، والعرض، وقيم: العدل، والمساواة، والصدق، والأمانة، والحلم، والصفح، وحفظ العهود، وأداء الأمانات، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، وبر الوالدين، وحرمة مال اليتيم، وهي مبادئ إنسانية عامة لم تختلف عليها الشرائع السماوية، ولم تنسخ في أي شريعة منها؛ حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ٨٩٥٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط: مؤسسة الرسالة.

وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]، فقد ذكر سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآيات آيات محكمات لم تنسخ في أي ملة من الملل أو شريعة من الشرائع[2].

أما الإلحاد والخروج على منهج الله وفطرته، التي فطر الناس عليها فله مفاسد وشرور لا تُحصى ولا تُعدّ على الفرد والمجتمع والأمم والشعوب، منها: اختلال القيم، وانتشار الجريمة، وتفكك الأسرة والمجتمع، والخواء الروحي، والاضطراب النفسي، وتفشي ظواهر خطيرة كالانتحار، والشذوذ، والاكتئاب النفسي.

فالسير في طريق الإلحاد والضلال مُدمّر لصاحبه، مُهلِك له في دنياه وآخرته، فواقع الملحدين مُرّ، مليء بالأمراض

---

(١) [سورة الأنعام، الآيات١٥١ – ١٥٣].

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٢٢٦، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٥٩، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع.

والعقد النفسية؛ حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[2].

ولا يمكن للعقوبات الدنيوية والأعراف والتقاليد وحدها مهما كانت دقتها أن تضبط حركة الإنسان في الكون، ما لم يكن لهذا الإنسان ارتباط وثيق بخالقه، وقد قال أحد الحكماء: من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نخصص لكل إنسان حارسًا يحرسه أو مراقبًا يراقبه، وحتى لو خصصنا لكل إنسان حارسًا يحرسه أو مراقبًا يراقبه، فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه، ولكن من السهل أن نربي في كل إنسان ضميرًا حيًّا ينبض بالحق، ويدفع إليه، راقبناه أو لم نراقبه؛ لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم، فالتدين

(١) [سورة طه، الآيات ١٢٤ - ١٢٧].
(٢) [سورة محمد، الآية ٨].

الحقيقي يعصم صاحبه من الزلل؛ لأنه يدرك أن أعماله تحصى عليه، وأنه سيقف بين يدي الله ﷻ الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء؛ حيث يقول ﷻ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، ويقول ﷻ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[3]، ويقول ﷻ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[4]، ويقول ﷻ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[5]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ

(١) [سورة الصافات، الآية ٢٤].
(٢) [سورة المجادلة، الآية ٧].
(٣) [سورة الأنعام، الآية ٥٩].
(٤) [سورة الكهف، الآية ٤٩].
(٥) [سورة ق، الآية ١٨].

فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى على لسان لقمان عليه السلام في وصيته لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[2].

على أن التدين الذي نبحث عنه، ونسعى إليه إنما هو التدين الحقيقي الخالص لوجه الله عز وجل وليس التدين الشكلي أو النفعي.

فلا شك أن ظاهرة التدين الشكلي وظاهرة التدين السياسي تعدان من أخطر التحديات التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية، سواء من هؤلاء الذين يركزون على الشكل والمظهر ولو كان على حساب اللباب والجوهر، وإعطاء المظهر الشكلي الأولوية المطلقة، حتى لو لم يكن صاحب هذا المظهر على المستوى الإنساني والأخلاقي الذي يجعل منه القدوة والمثل، ذلك أن صاحب المظهر الشكلي، الذي لا يكون سلوكه متسقًا مع تعاليم الإسلام يُعدُّ أحد

(١) [سورة يونس، الآية ٦١].
(٢) [سورة لقمان، الآية ١٦].

أهم معالم الهدم والتنفير من الدين، فإذا كان المظهر مظهر المتدينين مع ما يصاحبه من سوء المعاملات، أو الكذب، أو الغدر، أو الخيانة، أو خلف الوعد، أو أكل أموال الناس بالباطل، فإن الأمر هنا جد خطير في الصد عن دين الله والتنفير منه، بل إن صاحبه يسلك في عداد المنافقين، يقول نبينا ﷺ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)[١]، ويقول ﷺ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)[٢].

وكذلك من يحصر التدين في باب العبادات والاجتهاد فيها مع سوء الفهم للدين، والإسراف في التكفير، وحمل السلاح والخروج على الناس به كما حدث من الخوارج الذين كانوا من أكثر الناس صلاةً، وصيامًا، وقيامًا غير أنهم لم يأخذوا أنفسهم بالعلم الشرعي الكافي، الذي يحجزهم عن الولوغ في الدماء، فخرجوا على الناس

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب عَلاَمَةِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم: ٣٣.

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب علامات المنافق، حديث رقم: ٣٤.

بسيوفهم ، ولو طلبوا العلم أولاً كما قال الإمام الشافعي رحمه الله لحجزهم عن ذلك [1].

فالإسلام دين رحمة قبل كل شيء، وكل ما يبعدك عن الرحمة يبعدك عن الإسلام، والعبرة بالسلوك السوي لا بمجرد القول، وقد قالوا: حال رجل في ألف خير من كلام ألف لرجل.

على أن العبادات كلها لا تؤتي ثمرتها إلا إذا هذَّبت سلوك وأخلاق صاحبها، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له، ومن لم ينهه صيامه عن قول الزور فلا صيام له، يقول نبينا ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)[2]، ولا يقبل الله عز وجل في الزكاة والصدقات إلا المال الطيب الطاهر ، يقول نبينا ﷺ: (إِنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا)[3]، ويقول ﷺ: (لا يَقْبَلُ الله صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ)[4].

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ١٣٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، حديث رقم: ١٩٠٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ، حديث رقم: ٢٣٩٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطهارة ، باب وجوب الطهارة للصلاة ، حديث رقم: ٥٥٧.

وأخطر من هذا التدين الشكلي التدين السياسي، ونعني به هذا الصنف، الذي يتخذ الدين مجرد وسيلة ومطية للوصول إلى السلطة من خلال استغلال العواطف الدينية وحب الناس – وبخاصة العامة – لدينهم، وإيهامهم بأن هدفه من الوصول إلى السلطة إنما فقط هو خدمة دين الله ﷻ والعمل على نصرته والتمكين له، ومع أننا لا نحكم على النوايا ولا نتدخل في أمر النيات فهي ما بين العبد وخالقه، وكل ونيته، فإن الواقع يشهد بأمرين:

الأول: أن القضية عند هذه الجماعات ليست قضية دين على الإطلاق إنما قضية صراع على السلطة بشَرَهٍ ونَهَمٍ لم نعرف لهما مثيلًا، مع إقصاء للآخرين في عنجهية، وصلفٍ، وغرور، وتكبر، واستعلاء ربما لم يشهد تاريخنا مثله، بما نفر الناس منهم ومن سلوكهم، الذي صار عبئًا كبيرًا على الدين، وأصبحنا في حاجة إلى جهود كبيرة لمحو هذه الصورة السلبية التي ارتسمت في أذهان كثير من الناس لربطهم بين سلوك هؤلاء الأدعياء وبين الدين.

الأمر الآخر: أنهم أساءوا لدينهم، وشوهوا الوجه النقي لحضارته الراقية السمحة، وأثبتوا أنهم لا أهل دين ولا أهل

كفاءة، وإلا فهل من الدين استباحة الدماء والأعراض، والتحريض على العنف والقتل والفساد والإفساد؟

وقد أكَّدتُ وما زلت أؤكد أن هذه الجماعات الإرهابية، التي توظف الدين لخداع الناس وتحقيق مآربها السلطوية هي على استعداد للتحالف حتى مع الشيطان لتحقيق أهدافها ومطامعها ولو على حساب دينها، أو حساب وطنها، أو حساب أمتها، أو حساب ذلك كله.

أضف إلى ذلك ما درجت عليه هذه الجماعات وعناصرها وقادتها من الغش والكذب والمخادعة والمخاتلة.

والأكثر سوءًا أنهم يعدُّون كل هذه الرذائل، التي لا تمت للأديان أو الأخلاق بأية صلة وسائل مشروعة، طالما أنها تحقق لهم الغاية، التي يسعون إليها في سبيل التمكين السلطوي الذي يسعون إليه، وكلما علت درجة العضو في الجماعة كلما اتسع نطاق الاستحلال، والكذب، والخداع، والمراوغة لديه، فكبيرهم في التنظيم لا بد أن يكون كبيرهم في العمل على تحقيق مصلحة الجماعة بأي وسيلة وكل وسيلة، بل إنه لا يكاد يصل إلى هذه المكانة إلا بأحد أمرين: الوراثة، أو الوصولية والمزايدة في تنفيذ ما تطلبه

منه الجماعة، وإن خالف الشرع، وتطلَّب سفك الدماء أو الإفساد والتخريب.

ولا شك أن ما قامت به الجماعات الإرهابية المحسوبة ظلمًا على الإسلام من أعمال إجرامية قد أسهم في تصاعد ما يعرف بظاهرة "الإسلاموفوبيا"، وأصبحنا في حاجة إلى بذل جهود جبَّارة لبيان أن ديننا الحنيف السمح لا علاقة له بهذا الإرهاب والإجرام، وأنه منها جميعًا براء، حتى نصحح الصورة الذهنية لديننا السمح، التي شوهت الجماعات الإرهابية جانبًا من صفحتها السمحة النقية.



المبحث الثالث

حفظ الوطن

المبحث الثالث

حفــظ الــوطـــــــــن

مما لا شك فيه أن حب الوطن والحفاظ عليه فطرة إنسانية أكدها الشرع الحنيف، فهذا نبينا ﷺ يقول مخاطبًا مكة المكرمة قائلًا: (والله إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ الله، وَأَحَبُّ أَرْضِ الله إلى الله، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ؛ ما خَرَجْتُ)[1] ، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة واتخذها وطنًا له ولأصحابه الكرام لم ينس ﷺ وطنه الذي نشأ فيه ولا وطنه الذي استقر فيه، وقد قال: (اللهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ)[2]، وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ المَدِينَةِ، أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ

---

(١) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب في فَضْلِ مَكَّةَ، حديث رقم: ٤٣٠٤ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدنية، باب كَرَاهِيَةِ النَّبِيِّ أَنْ تُعْرَى المَدِينَةُ، حديث رقم: ١٨٨٩ .

حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا"[1]، وظل ﷺ يقلب وجهه في السماء رجاء أن يحول الله ﷻ قبلته تجاه بيته الحرام بمكة حتى استجاب له ربه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[2]، فأكرمه ﷺ بالتوجه إلى بيت الله الحرام؛ حيث أول بيت وضع للناس، وحيث نشأ ﷺ في كنف هذا البيت وتعلق به عقله وقلبه.

وقد قال الحافظ الذهبي رحمه الله مُعَدِّدًا طائفةً من محبوبات رسول الله ﷺ: "وكان يحبُّ عائشةَ، ويحبُّ أَبَاهَا، ويحبُّ أسامةَ، ويحب سبطَيْه، ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أُحُدٍ، ويحب وطنه"[3].

وقال عبد الملك بن قُرَيْبٍ الأصمعي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدنية، باب الْمَدِينَةُ تَنْفِي الْخَبَثَ، حديث رقم: ١٨٨٦.
(٢) [سورة البقرة: ١٤٤].
(٣) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي ١٥/ ٣٩٤ ترجمة رقم ٢١٦، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

أوطانـه، وتشـوُّقه إلى إخوانـه، وبكائـه عـلى مـا مـضى من زمانـه[٤]، ونقـل مثـل ذلك عـن أحد الأعـراب[٥].

وفي السياق والمناخ الفكري الصحي لا يحتاج الثابت الراسخ إلى دليل، لكن اختطاف الجماعات المتطرفة للخطاب الديني واحتكارها له ولتفسيراته جعل ما هو في حكم المسلمات محتاجًا إلى التدليل والتأصيل، وكأنه لم يكن أصلًا ثابتًا، فمشروعية الدولة الوطنية أمر غير قابل للجدل أو التشكيك، بل هو أصل راسخ لا غنى عنه في واقعنا المعاصر.

وقد قرر الفقهاء أن العدو إذا دخل بلدًا من بلاد المسلمين صار الجهاد ودفع العدو فرض عين على أهل هذا البلد رجالهم ونسائهم، كبيرهم وصغيرهم، قويهم وضعيفهم، مسلحهم وأعزلهم، كل وفق استطاعته ومكنته، حتى لو فنوا جميعًا، ولو لم يكن الدفاع عن الديار مقصدًا من أهم مقاصد الشرع لكان لهم أن يتركوا الأوطان وأن ينجوا بأنفسهم وبدينهم.

---

(٤) كشـف الخفاء للعجلوني، ط: دار إحياء التراث العربي ١/ ٣٤٧، والآداب الشرعية لابن مفلح، ص ٢٩٢.

(٥) العقد الفريد ٤/ ٣١، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وتعنى الدولة الوطنية باحترام عقد المواطنة بين الشخص والدولة، وتعني الالتزام الكامل بالحقوق والواجبات المتكافئة بين أبناء الوطن جميعًا دون أي تفرقة على أساس الدين، أو اللون، أو العرق، أو الجنس، أو اللغة، غير أن تلك الجماعات الضالة المارقة المتطرفة المتاجرة بالدين لا تؤمن بوطن ولا بدولة وطنية، فأكثر تلك الجماعات إما أنها لا تؤمن بالدولة الوطنية أصلًا من الأساس، أو أن ولاءها التنظيمي الأيديولوجي فوق كل الولاءات الأخرى وطنية وغير وطنية، فالفضاء التنظيمي لدى هذه الجماعات أرحب، وأوسع بكثير من الدولة الوطنية والفضاء الوطني.

وتسوّق الجماعات المتطرفة نفسها على أنها حامية حمى الدين، وأنها تسعى لتطبيق حكم الله ﷻ وإقامة شرعه، ونتساءل: أين ما تقوم به هذه الجماعات من قتل، ونسف، وتفجير، وتدمير، وسفك للدماء، وانتهاك للمحارم والأعراض، وسبي للحرائر، ونهب للأموال، وترويع للآمنين، من شرع الله وحكمه؟!

إن ما تقوم به هذه الجماعات المتطرفة هو عين الجناية على الإسلام، ذلك أن ما أصاب الإسلام من تشويه لصورته على أيدي هذه الجماعات لم يصبه عبر تاريخه على أيدي أعدائه، بل إن أعداء الإسلام لو استنفدوا ما في جعابهم من سهام ما بلغوا معشار ما ارتكبته هذه الجماعات الإرهابية من تشويه لصورة الإسلام.

ونستطيع أن نؤكد – وباطمئنان – أمورًا، أهمها:

أولًا: أن العمل على تقوية شوكة الدولة الوطنية وترسيخ دعائمها مطلب شرعي ووطني، وأن كل من يعمل على تقويض بنيان الدولة أو تعطيل مسيرتها، أو تدمير بناها التحتية، أو ترويع الآمنين بها، إنما هو مجرم في حق دينه ووطنه معًا.

ثانيًا: أن الإسلام لم يضع قالبًا جامدًا لنظام الحكم لا يمكن الخروج عنه، إنما وضع أسسًا ومعاييرَ متى تحققت كان الحكم رشيدًا يقره الإسلام، وفي مقدمتها مدى تحقيقه للعدل والمساواة بين أبنائه، وتوفير الأمن والأمان لهم، وسعيه لتحقيق مصالح البلاد والعباد والحياة الكريمة

لجميع المواطنين دون تفرقة أو تمييز بينهم على أساس الدين أو اللون أو العرق أو الجنس، واحترام آدمية الإنسان لكونه إنسانًا؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1] ؛ حيث كرم الله ﷻ الإنسان على إطلاق إنسانيته، ولا إشكال بعد ذلك في الأسماء أو المسميات؛ لأن العبرة بالمعاني والمضامين لا بالأسماء ولا بالمسميات.

ثالثًا: أنه حيث تكون المصلحة ويكون البناء والتعمير، فثم شرع الله وصحيح الإسلام، وحيث يكون الهدم والتخريب والدمار، فثمة عمل الشيطان وجماعات الفتنة والدمار والخراب.

رابعًا: أن العلاقة بين الدين والدولة الوطنية ليست علاقة تقابلية كما تحاول أن تسوق الجماعات الإرهابية والمتطرفة، كما أنها ليست علاقة عداء ولن تكون، فالدولة الرشيدة هي صمام أمان للتدين الرشيد، وإن تدينًا رشيدًا صحيحًا واعيًا وسطيًّا يسهم وبقوة في بناء واستقرار دولة عصرية ديمقراطية حديثة تقوم على أسس وطنية راسخة وكاملة، وإن دولة رشيدة لا يمكن أن تصطدم بالفطرة

(١) [سورة الإسراء، الآية ٧٠].

الإنسانية، التي تبحث عن الإيمان الرشيد الصحيح، على أننا ينبغي أن نفرّق وبوضوح شديد بين التدين والتطرف، فالتدين الرشيد يدفع صاحبه إلى التسامح، إلى الرحمة، إلى الصدق، إلى مكارم الأخلاق، إلى التعايش السلمي مع الذات والآخر، وهو ما ندعمه جميعًا، أما التطرف والإرهاب الذي يدعو إلى الفساد والإفساد ، والتخريب والدمار، والهدم واستباحة الدماء والأموال، فهو الداء العضال الذي يجب أن نقاومه جميعًا، وأن نقف له بالمرصاد، وأن نعمل بكل ما أوتينا من قوة للقضاء عليه حتى نجتثه من جذوره.

وفي هذه المعادلة غير الصعبة يجب أن نفرق بين الدين الذي هو حق، والفكر الإرهابي المنحرف الذي هو باطل، موقنين أن الصراع بين الحق والباطل قائم ومستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، على أن النصر للحق طال الزمن أو قصر؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[1].

---

(١) [سورة الأنبياء، الآية ١٨].

إن مثل الحق والباطل كمثل الكلمة الطيبة التي هي حق، والكلمة الخبيثة التي هي باطل، حيث يقول ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1].

إننا لأصحاب قضية عادلة، قضية دين، وقضية وطن، فكل ما يدعو للبناء والتعمير، والعمل والإنتاج، وسعادة الناس، وتحقيق أمنهم واستقرارهم، لهو الدين الحق والإنسانية الحقيقية، وكل ما يدعو للفساد والإفساد، والتخريب، والقتل يدعو إلى ما يخالف الأديان، وسائر القيم النبيلة، والفطرة الإنسانية القويمة.

الدين والدولة لا يتناقضان، الدين والدولة يرسخان معًا أسس المواطنة المتكافئة في الحقوق والواجبات، وأن نعمل معًا لخير بلدنا وخير الناس أجمعين، أن نحب الخير

(١) [سورة إبراهيم، الآيات ٢٤- ٢٦].

لغيرنا كما نحبه لأنفسنا، الأديان رحمة، الأديان سماحة، الأديان إنسانية، الأديان عطاء.

الدين والدولة يتطلبان منا جميعًا التكافل المجتمعي، وأن لا يكون بيننا جائع، ولا محروم، ولا عارٍ، ولا مشرد، ولا محتاج.

الدين والدولة يدفعان إلى العمل والإنتاج، والتميز والإتقان، ويطاردان البطالة والكسل، والإرهاب والإهمال، والفساد والإفساد، والتدمير والتخريب، وإثارة القلاقل والفتن، والعمالة والخيانة.

وأؤكد أن من يتوهمون صراعًا لا يجب أن يكون بين الدين والدولة ويرونه صراعًا محتَّما، إما أنهم لا يفهمون الأديان فهمًا صحيحًا، أو لا يعون مفهوم الدولة وعيًا تامًّا، فالخلل لا علاقة له بالدين الصحيح ولا بالدولة الرشيدة، إنما ينشأ الخلل من سوء الفهم لطبيعة الدين أو لطبيعة الدولة أو لطبيعة العلاقة بينهما.

غير أننا نؤكد ضرورة احترام دستور الدولة وقوانينها، وإعلاء دولة القانون، وألا تنشأ في الدول سلطات موازية لسلطة الدولة أيًّا كان مصدر هذه السلطات، فهو لواء

واحد تنضوي تحته وفي ظله كل الألوية الأخرى، أما أن تحمل كل مؤسسة أو جماعة أو جهة لواء موازيًا للواء الدولة، فهذا خطر داهم لا يستقيم معه لا أمر الدين ولا أمر الدولة[1].

خامسًا: أن ظهور أحزاب وجماعات التطرف الديني قد جرّ على منطقتنا العربية، وعلى كثير من الدول الإسلامية ويلاتٍ كثيرةً، وبخاصة بعد أن بدت ظاهرة التكسب بالدين أو المتاجرة به واضحة لدى كثير من الحركات والجماعات، التي عملت على توظيف الدين لتشويه خصومها من جهة، وتحقيق مطامعها السلطوية من جهة أخرى، فصارت محاربة الإسلام تهمة جاهزة لكل خصوم هذه الجماعات المتطرفة .

ناهيك عن تجاوز ذلك إلى تهم التخوين والتكفير والإخراج من جماعة المسلمين، بل الحكم على المخالفين أحيانًا بأن أحدًا منهم لن يجد رائحة الجنة، وإن رائحتها لتوجد من مسيرة كذا ومسيرة كذا، وبدا خلط الأوراق

(١) راجع كتابنا: الدين والدولة، ص (٥) وما بعدها، ط: وزارة الأوقاف المصرية.

واضحًا جليًّا عن عمد لا عن غفلة لدى أكثر هذه الجماعات، بل إن الأمر قد ذهب إلى أبعد من هذا عندما نصّبت هذه الأحزاب والحركات والجماعات نفسها وصيًّا على الدين، مع فقدان كوادرها للتفقه الصحيح فيه، أو حتى مجرد الإلمام بأصوله وأحكامه، وخروج بعضهم علينا بفتاوٍ ما أنزل الله بها من سلطان، اللهم إلا سلطان الهوى والسلطة وحب الظهور أحيانًا.

لقد أعطى هؤلاء المتسترون بالإسلام الذرائع أكثر من مرة لأعداء الأمة للتدخل في شئونها تحت ذرائع متعددة، المعلن منها مواجهة الإرهاب، وغير المعلن هو إضعاف دولنا أو تفتيتها أو تفكيكها أو السيطرة على مفاصلها الاقتصادية أو الجغرافية أو القرار السياسي أو الوطني فيها، ثم خرجت من عباءة هذه الجماعات والحركات والأحزاب جماعات يائسة أخذت تتبنى العنف والإرهاب والتكفير والتفجير والعمليات الانتحارية مسلكًا ومنهجًا، ووجدت بعض قوى الاستعباد المسمى الاستعمار الجديد في هذه الجماعات اليائسة من التكفيريين والانتحاريين ضالتها، فتعهدتها ونمتها وغذتها وأمدتها بالمال والسلاح، لتحقيق مآربها في تفتيت كيان المنطقة العربية والاستيلاء

على نفطها وخيراتها ومقدراتها من جهة، وتشويه صورة الإسلام وربطه بالإرهاب من جهة أخرى.

فبعد أن كان المسلمون هم رسل السلام إلى العالم أخذت صورتهم تُسوّق على أنها رديف الإرهاب والقتل والدمار، وتنامت ظاهرة "الإسلاموفوبيا" والتقطتها جهات ومؤسسات حاقدة على الإسلام والمسلمين فغذتها ونمتها، وكلما خمدت نارها نفخوا في رمادها؛ لتظل مشتعلة سيفًا مسلطًا على رقابنا.

ولا يمكن لعاقل أو وطني أو فاهم لدينه فهمًا صحيحًا أن ينكر أن حصاد دعوة هذه الجماعات المتطرفة المتدثرة ظلمًا وزورًا وزيفًا بعباءة الدين كان حصادًا مرًّا شديدَ المرارة، فقد زرعوا أشواكًا، فجَنَينا حنظلًا وعلقمًا ، وصار لزامًا علينا بذل أقصى الجهد لإصلاح ما أفسدته هذه الجماعات الضالة المارقة.

سادسًا: تغنى الأدباء والشعراء عبر تاريخ البشرية بحب الأوطان، وحفل تراثنا الشعري العربي قديمًا وحديثًا بنماذج رائعة من شعر الوطنية الصادقة، نذكر منها:

قول أحمد شوقي[1] :

بِــــلادٌ مـاتَ فِتيَتُهـــــا لِتَحيـا ... وَزالـوا دونَ قَومِهِــــمُ لِيَبــقـــوا
وَقَفتُــــمْ بَيـــنَ مَـوتٍ أَو حَيــاةٍ ... فَـإِن رُمتُمْ نَعيمَ الدَهـــرِ فَاشْقَـــوا
وَلِلأَوطـــــانِ فـــي دَمِ كُـــلِّ حُـرٍّ ... يَـدٌ سَلَفَـــت وَدَيـــنٌ مُستَحـــقُّ
وَمَـن يَسقـــى وَيَشــــرَبُ بِالمَنـايا ... إِذا الأَحـرارُ لَم يُسقــوا وَيَســـــقوا
وَلا يَبـــني المَمـــالِكَ كَالضَحايــا ... وَلا يُـدني الحُقـــــوقَ وَلا يُحِـــقُّ
وَلِلحُـرِّيَّـــــةِ الحَمــــراءِ بـــابٌ ... بِكُـــلِّ يَـــدٍ مُضَـرَّجَـــــةٍ يُـــدَقُّ

قول أحمد شوقي أيضًا [2]:

لنـــا وطــــنٌ بأَنفسِـــنا نَقـــــيه ... وبالدُّنيـا العريضــةِ نَفتـــديـــــه
إذا مـــا سيـــلَتِ الأرواحُ فيـــــه ... بذلنـــاها كـــأنْ لـــم نـعطِ شيَّــا
نقــومُ علـــى البنــايةِ محسنينا ... ونعهَـدُ بالتَّمـــامِ إلـــى بنيـــــنا
إليْـكِ نَمـوتُ ـ مِـصْرُ ـ كـما حَيينـا ... ويبقـى وجهــكِ المـــفديُّ حيَّـــا

قول أحمد محرم[3]:

من يُسعـــدُ الأوطـــانَ غيـــرَ بَنِيهَا ... ويُنيلُـــها الآمـــالَ غَيـــر ذَوِيـــها
ليـس الكريـمُ بمن يَـرى أوطـانَـــه ... نهـــب العـــوادي ثم لا يحمـــيها

---

(١) ديوان أحمد شوقي ١/ ٣٥٠، ط: نهضة مصر .
(٢) ديوان أحمد شوقي ٢/ ٢٥٥ .
(٣) ديوان أحمد محرم، ص ٧٠، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة .

ترجــو بنجدتـــه انقضـــاء شـقائها   وهـــو الـــذي بقعـــوده يشقيـها
وَتَـوُد جَاهـــدةً بـــه دَفْــع الأَذَى   عن نفســـها وهـــو الـــذي يُؤْذِيها
وَلَقلَّمـا أَرضَـى امـــرؤٌ أوطَـانَـه   حَتَـى تَـــرَاهُ بِنَفْســـهِ يَفْديهَـــا

قول رشيد سليم الخوري[1]:

بِنْـتَ العُرُوبَـــةِ هَيِّئِـــي كَفَنِـــي   أَنَا عَـائِدٌ لأَمُـــوتَ فِـــي وَطَنِـــي

❊ ❊ ❊

(١) ديوان الشاعر القروي، المجلد الأول، الطبعة الخامسة، دار المسيرة، بيروت.

المبحث الرابع

حفــظ النفــس

المبحث الرابع

حفــــظ الـنفـــــس

حماية النفس أحد أهم الكليات والمقاصد التي حرص الشرع عليها وأولاها عناية خاصة، فعلى الرغم من اختلاف العلماء من الأصوليين والفقهاء في عدد الكليات، وفي ترتيبها فإنهم يجمعون على أن حماية النفس أحد هذه الكليات، بما يعني إجماعهم على حرمة النفس؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ

---

(١) [سورة المائدة، الآية ٣٢].

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[2] .

يقول نبينا ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)[3]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ : (أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِالله، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ)[4]، ويقول ﷺ: (لا يَزَالُ المؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًّا حَرَامًا)[5] .

---

(١) [سورة الفرقان، الآية ٦٨].

(٢) [سورة النساء، الآية ٩٣].

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، حديث رقم: ٢٧٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الديات، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، حديث رقم: ٦٨٧١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، حديث رقم : ٦٨٦٢.

ويقول ﷺ: (لَزَوالُ الدُّنْيَا بِأَسْرِها أهْونُ عَلَى الله تَعَالَى مِنْ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يُسْفَكُ بِغَيْرِ حقٍّ)[1].

وعَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ: (كُلُّ الْمُسْـلِمِ عَـلَى الْمُسْـلِمِ حَرَامٌ، دَمُـهُ، وَمَالُـهُ، وَعِرْضُـهُ)[2].

وعَـنِ عبـد الله بـنِ عَبَّـاسٍ رضي الله عنهما أنـه سَمِـع النبـي ﷺ يَقُـولُ: (يَـأْتِي الْمَقْتُـولُ مُتَعَلِّقًـا رَأْسُـهُ بِإِحْـدَى يَدَيْـهِ، مُتَلَبِّبًا قَاتِلَـهُ بِيَـدِهِ الْأُخْـرَى، تَشْـجُبُ أَوْدَاجُـهُ دَمًّـا، حَتَّـى يَـأْتِيَ بِـهِ الْعَـرْشَ، فَيَقُـولُ الْمَقْتُـولُ لِـرَبِّ الْعَالَمِـينَ: هَـذَا قَتَلَنِي؟ فَيَقُـولُ الله لِلْقَاتِـلِ: تَعِسْـتَ. وَيُذْهَـبُ بِـهِ إِلَى النَّـارِ)[3] .

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما يَذْكُرَانِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: (لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّماءِ وَالأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ الله فِي النَّارِ)[4].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (مَنْ شَرَكَ فِي دَمِ حَرَامٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ الله)[5] .

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الديات، باب مَا جَاءَ فِي تَشْدِيدِ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ، حديث رقم: ١٤٥٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب تَحْرِيم ظُلْم الْمُسْلِم، وَخَذْلِه ، حديث رقم : ٢٥٦٤.
(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٤/ ٢٨٦، حديث رقم : ٤٢١٧، ط : دار الحرمين، القاهرة.
(٤) سنن الترمذي، كتاب الديات، باب الْحُكْم فِي الدِّمَاءِ، حديث رقم : ١٤٥٩.
(٥) المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٧٩، حديث رقم : ١١١٠٢.

وعَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ ﵁، عَنْ نَبِـيِّ الله ﷺ أَنَّهُ قَـالَ: (يَخْرُجُ عُنُـقٌ مِـنَ النَّـارِ يَتَكَلَّمُ يَقُـولُ: وُكِّلْـتُ الْيَـوْمَ بِثَلَاثَـةٍ: بِكُلِّ جَبَّـارٍ، وَبِمَـنْ جَعَلَ مَعَ الله إِلَهًـا آخَرَ، وَبِمَنْ قَتَلَ نَفْسًـا بِغَيْرِ نَفْـسٍ، فَيَنْطَـوِي عَلَيْهِـمْ فَيَقْذِفُهُمْ فِي غَمَـرَاتِ جَهَنَّمَ)[1].

وعـن عبـد الله بن عمر ﵄ قـال: رَأَيْتُ رَسُـولَ الله ﷺ يَطُـوفُ بِالْكَعْبَـةِ، وَيَقُـولُ: (مَـا أَطْيَبَـكِ وَأَطْيَـبَ رِيحَـكِ، مَـا أَعْظَمَـكِ وَأَعْظَـمَ حُرْمَتَـكِ! وَالَّـذِي نَفْسُ مُحَمَّـدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَـةُ الْمُؤْمِـنِ أَعْظَـمُ عِنْـدَ الله حُرْمَـةً مِنْـكِ، مَالِـهِ وَدَمِـهِ، وَأَنْ نَظُـنَّ بِـهِ إِلَّا خَـيْرًا)[2].

وعَـنْ طَرِيـفٍ أَبِي تَمِيمَـةَ، قَـالَ: شَـهِدْتُ صَفْـوَانَ وَجُنْدَبًـا وَأَصْحَابَـهُ وَهُـوَ يُوصِيهِـمْ، فَقَالُوا: هَلْ سَـمِعْتَ مِنْ رَسُـولِ الله ﷺ شَـيْئًا؟ قَالَ: سَـمِعْتُهُ يَقُولُ: (مَنْ سَـمَّعَ سَـمَّعَ الله بِـهِ يَـوْمَ القِيَامَـةِ، قَـالَ: وَمَنْ يُشَـاقِقْ يَشْـقُقِ الله عَلَيْـهِ يَـوْمَ القِيَامَـةِ)، فَقَالُـوا: أَوْصِنَـا، فَقَـالَ: (إِنَّ أَوَّلَ مَـا

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ١١٣٥٤.

(٢) سـنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب حُرْمَـةِ دَمِ الْمُؤْمِنِ وَمَالِهِ، حديث رقم: ٣٩٣٢، ط: دار إحياء الكتب العربية.

يُنْتِـنُ مِـنَ الإِنْسَـانِ بَطْنُـهُ، فَمَـنِ اسْـتَطَاعَ أَنْ لاَ يَـأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًـا فَلْيَفْعَـلْ، وَمَـنِ اسْـتَطَاعَ أَنْ لاَ يُحَـالَ بَيْنَهُ وَبَـيْنَ الجَنَّةِ بِمِـلْءِ كَفِّـهِ مِـنْ دَمٍ أَهْرَاقَـهُ فَلْيَفْعَـلْ)[1].

وعَـنْ عَبْـدِ الله بـن مسـعود رضي الله عنه قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ: (أَوَّلُ مَـا يُقْـضَى بَـيْنَ النَّاسِ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ فِي الدِّمَاءِ)[2].

وعَـنْ أَبِي إِدْرِيـسَ الْخَـوْلَانِيِّ قَـالَ: سَـمِعْتُ مُعَاوِيَـةَ رضي الله عنه يَقُـولُ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ الله ﷺ يَقُولُ: (كُلُّ ذَنْبٍ عَسَـى الله أَنْ يَغْفِـرَهُ إِلَّا الرَّجُـلُ يَمُـوتُ كَافِـرًا، أَوْ رَجُـلٌ يَقْتُـلُ مُؤْمِنًـا مُتَعَمِّدًا)[3].

وعَـنِ ابْـنِ عُمَـرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: (لاَ تَرْجِعُوا بَعْـدِي كُفَّـارًا، يَـضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَـابَ بَعْضٍ)[4].

وعَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه قَـالَ: قَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: (وَالَّـذِي نَفْـسِي بِيَـدِهِ، لَيَأْتِـيَنَّ عَلَى النَّـاسِ زَمَـانٌ لَا يَـدْرِي الْقَاتِلُ فِي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب من شق شق الله عليه، حديث رقم: ٧١٥٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الْقَسَـامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، باب الْمُجَازَاةِ بِالدِّمَاءِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ١٦٧٨.

(٣) مسند أحمد ٢٨ / ١١٢، حديث رقم: ١٦٩٠٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، بَابُ مَنْ انْتَظَرَ حَتَّى تُدْفَنَ، حديث رقم: ٦٨٦٨.

أَيِّ شَيْءٍ قَتَـلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَـلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ[1]، وفي رواية: (وَالَّـذِي نَفْسِي بِيَـدِهِ، لَا تَذْهَـبُ الدُّنْيَا، حَتَّـى يَأْتِيَ عَـلَى النَّـاسِ يَـوْمٌ لَا يَـدْرِي الْقَاتِـلُ فِيـمَ قَتَـلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيـمَ قُتِـلَ). فَقِيـلَ: كَيْـفَ يَكُـونُ ذَلِـكَ؟ قَـالَ: (الْهَـرْجُ، الْقَاتِـلُ وَالْمَقْتُـولُ فِي النَّـارِ)[2].

ويأتي التأكيد على حرمة الدماء في خطبة حجة الوداع الجامعة، حيث يقول نبينا ﷺ: (إنَّ دِماءَكُم، وأمْوالَكم وأعْراضَكُم حرامٌ عَلَيْكُم كَحُرْمة يومِكُم هَذَا، في شهرِكُمْ هَذَا، في بلَدِكُم هَذَا، ألا هَلْ بلَّغْت)[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا: سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ)[4].

وقال مجاهد: "من قتل نفسا محرمة يُصْلَى النار بقتلها، كما يصلاها لو قتل الناس جميعًا ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ : من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعًا".

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، حديث رقم: ٢٩٠٨.

(٢) المرجع السابق نفس الموضع .

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، حديث رقم: ١٠٥ .

(٤) صحيح البخاري، كتـاب الديات، باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، حديث رقم : ٦٨٦٣.

وقال سليمان بن علي: "سألت الحسن عن قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1] فقلت: يا أبا سعيد: هي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: إي والذي لا إله، غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[2]".

وعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (مَنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا)[3].

وقال أبو الوليد الباجي: "وإياكم والعون على سفك دم بكلمة أو المشاركة فيه بلفظة، فلا يزال

(١) [سورة المائدة، الآية ٤٥].

(٢) [سورة المائدة، الآية ٣٢]، وانظر: تفسير البغوي، تفسير قوله تعالى: ﴿من أجل ذلك كتبنا ...﴾ ٣/ ٤٧.

(٣) مسند أحمد، حديث رقم: ١٨٠٧٢.

الإنسان في فسحة من دينه ما لم يغمس يده أو لسانه في دم حرام[1].

هذا وقد تعهد الإسلام النفس بالحماية والرعاية منذ الطفولة، فنعى على أهل الجاهلية وأدهم للبنات خشية الفقر أو العار، وأنكر عليهم ذلك نكيرًا شديدًا، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[3]، ويقول ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[4]، ويقول ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[5]، وعن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه أن

---

(١) النصيحة الولدية، وصية أبي الوليد الباجي لولديه،لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي ١ / ٢٠ تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط: دار الوطن، الرياض.

(٢) [سورة النحل، الآية ٥٨].

(٣) [سورة الأنعام، الآية ١٥١].

(٤) [سورة الإسراء، الآية ٣١].

(٥) [سورة التكوير، الآيتان ٨، ٩].

رجلًا قال: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: (أن تدعو لله ندًّا وهو خلَقك). قال: ثم أي؟ قال: (أن تقتل ولدَك مخافة أن يطعَمَ معك). قال: ثم أي ؟ قال: (أن تزانيَ حليلة جارك)[1].

وقال ﷺ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا، وَلَمْ يُهِنْهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ)[2].

وعن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: (بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ)[3] .

ولم يقف أمر الإسلام في الحفاظ على النفس عند هذا الحد، بل تعداه إلى النهي عن مجرد ترويع الآمنين أو إخافتهم، يقول نبينا ﷺ: (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلاَ تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، حديث رقم : ٤٤٧٧ .

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في فَضْلِ مَنْ عَالَ يَتَامَى، حديث رقم : ٥١٤٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب عَلاَمَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، حديث رقم : ١٨.

الْمَلائِكَةَ تَلْعَنُهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ)[1] ، ويقول ﷺ: (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا) [2].

وإذا كان نبينا ﷺ قد حدثنا عن امرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فما بالكم بمن يقتل البشر ويحرق ويسفك الدماء؟! ومن ثمَّ يتضح أن الإسلام دين رحمة وسماحة، لا دين قتل وإرهاب، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3].

وهي ليست رحمة خاصة بجنس أو نوع أو زمان، بل هي رحمة عامة لجميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النَّهْيِ عَنِ الإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ، حديث رقم: ٦٨٣٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ وسلم: (من حمل علينا السلاح فليس منا)، حديث رقم: ٦٦٥٩.

(٣) [سورة آل عمران، الآية ١٥٩].

(٤) [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧].

مع أن الإسلام لم يترك أمر النفس الإنسانية لمجرد التراحم إنما حصَّنها بحد القصاص، فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(١)، ويقول ﷻ: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٢).

ولمزيد من الحفاظ على النفس شدَّد الإسلام في شأن القصاص حتى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما اجتمع جماعة من أهل صنعاء على رجل واحد فقتلوه، فقال رضي الله عنه: "لَوْ تَمَالأَ عَلَيْهِ أَهْلُ صَنْعَاءَ لَقَتَلْتُهُمْ جَمِيعًا"(٣).

---

(١) [سورة البقرة، الآيتان ١٧٨، ١٧٩].

(٢) [سورة المائدة، الآية ٤٥].

(٣) موطأ مالك، كتاب العقول، باب ما جاء في الغيلة والسحر، حديث رقم: ١٥٨٠.

وكان أبـو العاليـة ﷀ يقـول: "جعـل الله القصـاص حيـاة، فكـم مـن رجـل يريـد أن يقتُـل، فتمنعـه مخافـة أن يُقتـل"[1].

وحتـى في الحـرب كان النبـي ﷺ يـوصي قائـد الجيش قبـل انطلاقـه، فعن أَنَس بْـن مَالِكٍ ﭬ أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قَـالَ: (انْطَلِقُـوا بِاسْـمِ الله وَبِالله وَعَـلَى مِلَّةِ رَسُـولِ الله، لَا تَقْتُلُـوا شَـيْخًا فَانِيًـا، وَلَا طِفْـلًا، وَلَا صَغِـيرًا، وَلَا امْـرَأَةً، وَلَا تَغُلُّـوا، وَضُمُّـوا غَنَائِمَكُـمْ، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِـنُوا، إِنَّ اللهَ يُحِـبُّ الْمُحْسِـنِينَ)[2]، ولمـا رأى ﷺ امرأة مسـنة مقتولة في إحـدى المعـارك قـال ﷺ: (مَـنْ قَتَـلَ هَـذِهِ؟ مَـا كَانَتْ هَـذِهِ لِتُقَاتِلَ)[3] ، ويقول الحـق ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[4].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٩٢، دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٥٤، ط : مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر آباد.

(٣) مسند أحمد ٢٥/ ٣٧٠، حديث رقم : ١٥٩٩٢.

(٤) [سورة النساء، الآية ٩٤].

وقـد دعـا الإسـلام إلى الحفاظ عـلى النفـس دون النظر إلى الديـن، فلـم يفـرق في الدماء بين مسـلم وغير مسـلم، أو بـين حـر وعبـد، فعَـنْ عَبْـدِ الله بْـنِ عَمْـرٍو رضي الله عنهما عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: (مَـنْ قَتَـلَ مُعَاهَـدًا لَمْ يَـرِحْ رَائِحَـةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَـا تُوجَـدُ مِـنْ مَسِـيرَةِ أَرْبَعِـينَ عَامًـا)[1]، وعَـنْ سَـمُرَةَ بْـنِ جُنْـدَبٍ، قَـالَ: قَالَ رَسُـولُ الله ﷺ: (مَـنْ قَتَلَ عَبْـدَهُ قَتَلْنَـاهُ، وَمَنْ جَدَعَـهُ جَدَعْنَـاهُ)[2].

وحتـى في الحـرب حثنـا الإسـلام عـلى عـدم الإسراع في القتـل، فعـن أُسَـامَةَ بْن زَيْـدِ بْـنِ حَارِثَـةَ، قَـالَ: "بَعَثَنَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَـةِ مِـنْ جُهَيْنَـةَ، فَصَبَّحْنَـا الْقَـوْمَ فَهَزَمْنَاهُـم وَلَحِقْـتُ أَنَـا وَرَجُلٌ مِـنَ الْأَنْصَارِ رَجُـلًا مِنْهُمْ، فَلَـمَّا غَشِـينَاهُ قَـالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا الله، فَكَـفَّ عَنْـهُ الْأَنْصَارِيُّ، وَطَعَنْتُـهُ بِرُمْحِـي حَتَّـى قَتَلْتُـهُ، قَـالَ: فَلَـمَّا قَدِمْنَـا بَلَـغَ ذَلِكَ النَّبِـيَّ ﷺ، فَقَـالَ لِي: (يَـا أُسَـامَةُ، أَقَتَلْتَـهُ بَعْـدَ مَا قَـالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا الله؟) قَـالَ: قُلْتُ: يَا رَسُـولَ الله، إِنَّـمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَـالَ: فَقَـالَ: (أَقَتَلْتَـهُ بَعْـدَ مَـا قَـالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا الله؟) قَالَ:

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إِثْمِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ، حديث رقم: ٣١٦٦.
(٢) سنن الترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في الرجل يقتل عبده، حديث رقم: ١٤١٤.

فَـمَا زَالَ يُكَرِّرُهَـا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْـتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْـلَمْتُ قَبْلَ ذَلِـكَ الْيَـوْمِ"[١]، وفي روايـة أخـرى: أن رسـول الله ﷺ قَـالَ لـه: (فَكَيْـفَ تَصْنَـعُ بِـلَا إِلَـهَ إِلَّا الله إِذَا جَـاءَتْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ؟) قَـالَ: يَا رَسُـولَ الله، اسْـتَغْفِرْ لِي، قَـالَ: (وَكَيْفَ تَصْنَـعُ بِـلَا إِلَـهَ إِلَّا الله إِذَا جَـاءَتْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ؟) قَـالَ: فَجَعَـلَ لَا يَزِيـدُهُ عَـلَى أَنْ يَقُولَ : (كَيْـفَ تَصْنَعُ بِـلَا إِلَهَ إِلَّا الله إِذَا جَـاءَتْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ)[٢] .

ولعظـم حرمـة النفـس الإنسـانية، فـإن الإسـلام كما حـرَّم قتل الإنسـان غيره حرَّم قتله لنفسـه، قـال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[٣]، ويقـول ﷻ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٤]، وعـن أبي هريـرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَـالَ: (مَنْ تَـرَدَّى مِنْ جَبَـلٍ فَقَتَلَ نَفْسَـهُ فَهُوَ فِي نَـارِ جَهَنَّمَ يَـتَرَدَّى فِيـهِ خَالِدًا مُخَلَّـدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّـى سُـمًّا فَقَتَلَ

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ تَحْرِيم قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، حديث: ٩٦.
(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، حديث: ٩٧ .
(٣) [سورة النساء، الآية ٢٩].
(٤) [سورة البقرة، الآية ١٩٥].

نَفْسَـهُ فَسُـمُّهُ فِي يَـدِهِ يَتَحَسَّـاهُ فِي نَـارِ جَهَنَّـمَ خَالِـدًا مُخَلَّـدًا فِيهَـا أَبَـدًا، وَمَنْ قَتَـلَ نَفْسَـهُ بِحَدِيـدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَـدِهِ يَجَأُ بِهَـا فِي بَطْنِـهِ فِي نَارِ جَهَنَّـمَ خَالِـدًا مُخَلَّدًا فِيهَـا أَبَدًا)[1].

وأبـاح الـشرع للمضطـر أكل أو شرب مـا يحفـظ عليه حياتـه حـال الـضرورة التـي تصـل إلى خشـية الهـلاك ؛ حفاظًـا عـلى النفـس الإنسـانية، عـلى ألا يتجـاوز في ذلك حـد هـذه الـضرورة، فقـال ﷻ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، ويقـول ﷻ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شُرْبِ السُّمِّ، وَالدَّوَاءِ بِهِ، حديث رقم: ٥٧٧٨.
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٧٣].
(٣) [سورة المائدة، الآية ٣].

ويقـول ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

❊ ❊ ❊

(١) [سورة الأنعام، الآية ١٤٥].

المبحث الخامس

حفـظ المـــال

المبحث الخامس

حفـــظ المـــــال

لقد أحاط الإسلام المال بسياجات متعددة من الحفظ، فنهى عن أكل الحرام بكل صوره وأشكاله نهيًا قاطعًا لا لبس فيه، فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[1].

وقال جل شأنه: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[2]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ

(١) [سورة النساء، الآية ٣٠].

(٢) [سورة البقرة، الآية ١٨٨].

سَعِيرًا ﴾(١)، ويقول ﷻ: ﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾(٢).

ويقول ﷻ على لسان سيدنا شعيب عليه السلام: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾(٣).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أن سيدنا سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ قال: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: (يَا سَعْدُ، أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ فَلا يُقبَل مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ)(٤)، وعن خَوْلَةَ بِنْت قَيْسٍ، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (رُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا شَاءَتْ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللهِ وَرَسُولِهِ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ النَّارُ)(٥).

---

(١) [سورة النساء، الآية ١٠].

(٢) [سورة المائدة، الآية ٦٣].

(٣) [سورة هود ، الآية ٨٥].

(٤) المعجم الأوسط ٦/ ٣١٠، حديث رقم: ٦٤٩٥ .

(٥) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب مَا جَاءَ فِي أَخْذِ المالِ، حديث رقم: ٢٣٧٤ .

وقد كان بعض الصالحين يتركون بعض الحلال مخافة أن تكون فيه شبهة حرام؛ حيث يقول نبينا ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».[1].

وقد ذكر نبينا ﷺ: (الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يا رَبِّ يا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، ومكسبه حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟)[2]، ويقول ﷺ: (إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ)[3] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابٌ الحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، حديث رقم: ٢٠٥١، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، حديث رقم: ١٥٩٩.

(٢) صحيح مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ، حديث رقم: ١٠١٥.

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾، حديث رقم: ٣١١٨ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ الله عَلَيْنَا، فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ وَرِقًا، غَنِمْنَا المَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي، وَمَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَبْدٌ لَهُ، وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَام ، يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبيْبِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَ قَامَ عَبْدُ رَسُولِ الله ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ فَرُمِيَ بِسَهْم. فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ. فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (كَلاَّ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا، أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ)، قَالَ : فَفَزِعَ النَّاسُ. فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ)[١]، ويقول ﷺ: (كل لحم نبت من سُحت فالنار أولى به)[٢].

فأكل الحرام قتل للنفس وإهلاك وتدمير لها في الدنيا والآخرة، فهو في الدنيا وبال على صاحبه في صحته،

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم : ٤٢٣٤.
(٢) مسند أحمد ٢٢/ ٣٣٢، حديث رقم : ١٤٤٤١.

في أولاده، في عرضه، في أمواله، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾[1].

ولم يقف حفظ الإسلام للمال عند العقوبات الأخروية أو التحذير من عذاب الله وعقابه يوم القيامة، إنما شرع لحفظه حدودًا، منها حد السرقة حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، وحد الحرابة للمفسدين والعصابات المجرمة التي تتعرض للناس فتنهب أموالهم تحت تهديد السلاح؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3].

وشرع الإسلام الضمان عقوبة لإتلاف المال، وحثنا على الوفاء بالعقود والحقوق، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) [سورة طه، الآية ١٢٧].

(٢) [سورة المائدة، الآية ٣٨].

(٣) [سورة المائدة، الآية ٣٣].

ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله)[3].

كما حثنا الشرع الحنيف على كتابة الدين وتوثيقه والإشهاد، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ

(١) [سورة المائدة، الآية ١].

(٢) [سورة النساء، الآية ٥٨].

(٣) صحيح البخاري، كِتَاب فِي الِاسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ، بَابُ مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَوْ إِتْلاَفَهَا، حديث رقم: ٢٣٨٧.

عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] ، ويقول ﷻ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[2] .

على أن حرمة المال العام أشدُّ إثما وجرمًا من حرمة المال الخاص، وذلك لكثرة الحقوق المتعلقة به، وتعدد الذمم المالكة له، ولذلك حذر الإسلام من إتلافه، أو سرقته، أو الإضرار به، قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[3]، ويقول نبينا ﷺ: (مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ الله إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ) [4].

---

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٨٢].

(٢) [سورة الأعراف، الآية ٣١].

(٣) [سورة آل عمران، الآية١٦١].

(٤) صحيح مسلم،كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض، حديث رقم :١٦١٠ .

وقد نهى الإسلام عن الإسراف والتبذير، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[2]، وشرع الحَجْرَ لحق المال؛ حفاظًا عليه من الضياع، كما أن الإسراف إذا وصل إلى حد السفه أو التبذير فإنه يواجه بالشرع والقانون معًا، فالقانون ينظم الحقوق والواجبات، وهو في ذلك ينطلق من منطلق شرعي؛ حيث أفرد الفقهاء في كتبهم بابًا للحجر على السفيه والمبذر، وقسموه قسمين، الأول: الحجر لحق الدين أو لحق الدائنين، وهو ما يعبر عنه في القانون المدني بالحجز، والقسم الآخر: الحجر لحق المال، سواء أكان نقدًا أم عينًا مقومة بنقد، وسموه الحجر على السفيه والمبذر، فيعطى الإنسان الحق في التصرف في ماله ما دام يتصرف فيه بحدود العقل والمنطق، فإن خرج عن حدود العقل والمنطق إلى درجة

(١) [سورة الإسراء، الآية ٢٧].

(٢) [سورة النساء، الآية ٥].

التبذير والسفه كان الحكم عليه بالحجر لحق المال، وتعيين وليٍّ له يتولى شئون إدارة ماله وتسيير أموره؛ حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[1].

ذلك أن المال في الحقيقة مال الله؛ حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[2]، ونحن مستخلفون عليه؛ حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[3]، فمن أحسن الاستخلاف كان له الحق في التصرف فيه بحقه، ومن أساء الاستخلاف فيه كان الحجر عليه؛ حفاظًا على المال الذي هو حق لصاحبه ما أحسن التصرف فيه، فإن أساء التصرف فيه تدخل الشارع للحفاظ عليه.

* * *

(١) [سورة النساء، الاية ٥].

(٢) [سورة النور، الاية ٣٣].

(٣) [سورة الحديد، الآية ٧].

المبحث السادس

حفـظ العقـــل

المبحث السادس

حفـــظ العـقـــــــل

تحدث القرآن الكريم عن العقل بما ينبئ عن مكانته وأهميته، ودعانا إلى التفكر والتأمل وحسن استخدام العقل فقال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]، وحثنا على التدبر والتفكر واستخدام العقل في كثير من المواضع؛ حيث يقول ﷻ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]، ويقـــول ﷻ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ

(١) [سورة البقرة، الآية ١٦٤].

(٢) [سورة الرعد، الآية ٤].

وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]، ويقول ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾[3]، ويقول ﷻ: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4]، ويقــول ﷻ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[5]، ويقول ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[6]، ويقول ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[7]، ويقول ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ

---

(١) [سورة النحل، الآية ٦٧].

(٢) [سورة النحل، الآية ٤٤].

(٣) [سور ة الروم، الآية ٨].

(٤) [سورة الروم، الآية ٢١].

(٥) [سورة الحشر، الآية٢١].

(٦) [سورة يوسف، الآية٢].

(٧) [سور ة يونس، الآية٢٤].

لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[(١)]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾[(٢)]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[(٣)]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[(٤)]، ولما نزلت هذه الآية قال نبينا صلى الله عليه وسلم: (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)[(٥)].

وقـد ميز الله عز وجل الإنسان عن سائر الخلق بالعقل والفكر والتأمل والتدبر والتمييز، ونعى على من أهملوا هذه النعم ولم يوفوها حقها، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[(٦)]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٧)]، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[(٨)]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[(٩)].

---

(١) [سورة النور، الآية ٦١].
(٢) [سورة طه، الآية ٥٤].
(٣) [سورة الحج، الآية ٤٦].
(٤) [سورة آل عمران، الآية ١٩٠].
(٥) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٨٦، حديث رقم: ٦٢٠ .
(٦) [سورة يس، الآية ٦٨].
(٧) [سورة الأنعام، الآية٥٠].
(٨) [سورة الأنعام، الآية ٨٠].
(٩) [سورة محمد، الآية ٢٤].

يقول الحسن البصري رحمه الله: لـو كان العقـل يشـترى؛ لتغـالى الناس في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده[1].

ويقول العز بن عبد السلام: ونحفظ العقل لفوائده... ولا يجوز تخبيله بشيء من المسكرات، ولا يجوز ستره بالمغفلات المحرمات، ويُستحب صونه عن الغفلة، وذلك بنفي أسباب الغفلات من الشواغل الملهيات[2].

وعن مطرف بن عبد الله رحمه الله قال: ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل[3].

وعن عامر بن عبد قيس رحمه الله قال: إِذَا عَقَّلَكَ عَقْلُكَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي فَأَنْتَ عَاقِلٌ[4].

وعن سفيان بن عيينة رحمه الله قال: لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْرِفُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، إِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي إِذَا رَأَى الْخَيْرَ اتَّبَعَهُ وَإِذَا رَأَى الشَّرَّ اجْتَنَبَهُ[5].

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين الأبشيهي ص ٤٨.

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال للعز بن عبد السلام، ص ٢٦ .

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٢٤.

(٤) العقل وفضله لابن أبي الدنيا، ص٤٣، مكتبة القرآن، مصر.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ٣٣٩ .

ويقول وهب بن منبه رحمه الله: قال لقمان لابنه: يا بني، اعقل عن الله، فإن أعقل الناس عن الله: أحسنهم عقلاً، وإن الشيطان ليفر من العاقل وما يستطيع أن يكابده[1].

ويقول أيضًا: لإزالة الجبل صخرة صخرة، وحجرًا حجرًا: أيسر على الشيطان من مكابدة المؤمن العاقل، لأنه إذا كان مؤمنًا عاقلًا ذا بصيرة، فلهو أثقل على الشيطان من الجبال، وأصعب من الحديد ؛ وأنه ليزايله بكل حيلة، فإذا لم يقدر أن يستزله، قال: يا ويله، ما له ولهذا، لا حاجة لي بهذا، ولا طاقة لي بهذا، فيرفضه؛ ويتحول إلى الجاهل، فيستأسره، ويستمكن من قياده، وأن الرجلين ليستويان في أعمال البر، فيكون بينهما كما بين المشرق والمغرب، أو أبعد ؛ إذا كان أحدهما أعقل من الآخر .

ويقول أيضًا: وإني وجدت في بعض ما أنزل الله على أنبيائه: أن الشيطان لم يكابد شيئًا أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة ألف جاهل، فيسخر بهم، حتى يركب رقابهم، فينقادون له حيث شاء؛ ويكابد المؤمن العاقل، فيصعب عليه، حتى لا ينال منه شيئًا[2].

(١) حلية الأولياء ٤/ ٣٥ .

(٢) المصدر السابق نفسه ٤/ ٢٦ .

وقال ابن الجوزيّ ﷺ: العاقل يدبّر بعقله معيشته في الدّنيا، فإن كان فقيرًا اجتهد في كسب وصناعة تكفّه عن الذّلّ للخلق، وقلّل العلائق، واستعمل القناعة، فعاش سليمًا من منن النّاس عزيزًا بينهم وإن كان غنيًّا فينبغي له أن يدبّر في نفقته خوف أن يفتقر، فيحتاج إلى الذّلّ للخلق... فإنما التّدبير حفظ المال، والتّوسّط في الإنفاق"[١].

ويقـول الغـزالي: إن مـن حنكتـه التجـارب، وهذبتـه المذاهـب، يقـال: إنـه عاقـل في العـادة، ومـن لا يتصـف بهـذه الصفـة، يقـال: إنـه غبـي، غمر، جاهـل، فهـذا نوع آخـر مـن العلـوم يسـمى عقـلًا"[٢].

ويقول الشاطبي: وإلى جانب حفظ العقل عن طريق تحريم الخمر فإن حفظه أيضًا في حفظ النفس بالكلية، إذ هو داخل في حرمة حفظ النفس كسائر الأعضاء ومنافعها من السمع والبصر وغيرهما، فالعقل محفوظ شرعًا في الأصول الكلية عما يزيله رأسًا كسائر الأعضاء ساعةً أو لحظةً[٣].

---

(١) صيد الخاطر، صـ٦١٠ .

(٢) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ١/ ٨٥، دار المعرفة، بيروت .

(٣) الموافقات للشاطبي ٣/ ٤٧.

ويقول الأستاذ/ عباس محمود العقاد في منزلة العقل ومكانته في كتاب الله: والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياقها، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه[1].

ويقول الشاعر:

وأفضل قَسْمِ الله للمرء عقله	**وليس من الخيرات شيء يقاربه**
فزين الفتى في الناس صحة عقله	**وإن كان محصورًا عليه مكاسبه**
ويزري به في الناس قِلَّةُ عقله	**وإن كرمت أعراقه ومناسبه**

على أن عقل كل فرد من أفراد المجتمع ليس حقًّا خالصًا له يتصرف فيه كيف يشاء، إنما هو نعمة من نعم الله، التي يجب الحفاظ عليها والعناية بها، كما أن للمجتمع حقًّا فيه أيضًا باعتبار كل شخص لبنة من لبنات المجتمع، وأن

---

(١) التفكير فريضة إسلامية، ص ٧، ٨ .

مصالح الأمة لا تستقيم إلا إذا كانت عقول أبنائها سليمة من الآفات؛ قادرة على التفكير السليم والتخطيط الدقيق لكل ما من شأنه أن يعود بالخير والسعادة على الفرد والمجتمع، فعدوان الشخص على عقله بتدميره عن طريق تعاطي المخدرات التي تفسده وتعطله عن التفكير السوي، وتنحرف به إلى المهالك إنما تضر بالمجتمع الذي يعيش فيه؛ نظرًا لأن هذا السلوك المنحرف من شأنه أن يفقد المجتمع عضوًا كان من المفروض أن يكون عضوًا صالحًا وعقلًا مفكرًا يساعد في بناء مجتمعه وتقدمه، كما أن فقدان العقل قد يتجاوز الضرر الفردي إلى ضرر المجتمع جراء سوء تصرف من يفقد عقله، فتقع الجريمة، ويقل الأمن والأمان، ويكثر الفساد والإفساد، وتغيب المودة والمحبة بين الناس، وتؤدي إلى نشر العداوة والبغضاء، وهي أمور مذمومة جاءت الشريعة الإسلامية بمحاربتها ومنعها، مؤكدة أن الخمر أحد سُبل إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس، ومن ثمة أحاط الإسلام العقل بسياجات عديدة من الحفظ، فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ

ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[1].

على أن اهتمام الشرع الحنيف بنعمة العقل يتطلب من المسلم أن يحافظ عليه وأن لا يتناول من الأشياء ما يفسده أو يعطل وظيفته أو يضره ويؤذيه، يقول نبينا ﷺ: (لا ضَرَرَ ولا ضِرَارٍ)[2].

وقد كان النبي ﷺ إذا بايع أصحابه - رضوان الله عليهم - قال: (أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَشْرَبُوا مسكرًا)[3]، فقوله ﷺ: (وَلَا تَشْرَبُوا مسكرًا) بصيغة العموم يشمل جميع المسكرات، دون النظر إلى مسمياتها .

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنِ البِتْعِ، وَهُوَ نَبِيذُ العَسَلِ، وَكَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَشْرَبُونَهُ، فَقَالَ

---

(١) [سورة المائدة،الآية ٩١].

(٢) مسند أحمد، حديث رقم : ٢٨٦٥ .

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ١/ ٢٨٣، حديث رقم : ٩٢٣، ومجمع الزوائد للهيثمي ١/ ١٠٤، حديث رقم : ٣٩٣ .

رَسُولُ الله ﷺ: (كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ)[1]، وعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (لُعِنَتِ الْخَمْرُ عَلَى عَشْرَةِ وُجُوهٍ: لُعِنَتِ الْخَمْرُ بِعَيْنِهَا، وَشَارِبُهَا، وَسَاقِيهَا، وَبَائِعُهَا، وَمُبْتَاعُهَا، وَعَاصِرُهَا، وَمُعْتَصِرُهَا، وَحَامِلُهَا، وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ، وَآكِلُ ثَمَنِهَا)[2].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يَتَعَبَّدُ، وَيَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَاوِيَةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُشْهِدَكَ بِشَهَادَةٍ، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا فَجَعَلَ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ، وَعِنْدَهَا إناء فيه خَمْرٌ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَالله مَا دَعَوْتُكَ لِشَهَادَةٍ وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ لِتَشْرَبَ مِنْ هَذَا الْخَمْرَ كَأْسًا أَوْ لِتَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، وَإِلَّا صِحْتُ بِكَ وَفَضَحْتُكَ، فَلَمَّا أَنْ رَأَى أَنْ لَيْسَ بُدٌّ مِنْ بَعْضِ مَا قَالَتْ، قَالَ: اسْقِينِي مَنْ هَذَا الْخَمْرَ كَأْسًا فَسَقَتْهُ، فَقَالَ: زِيدِينِي كَأْسًا فَشَرِبَ فَسَكِرَ، فَقَتَلَ الْغُلَامَ وَوَقَعَ عَلَى

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب بَيَانِ أَنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، حديث رقم : ٥٣٢٩.
(٢) مسند أحمد ٨/ ٤٠٥، حديث رقم : ٤٧٨٧ .

الْمَـرْأَةِ، فَاجْتَنِبُـوا الْخَمْـرَ فَـوَاللهِ لَا يَجْتَمِـعُ الْإِيـمَانُ وَإِدْمَـانُ الْخَمْـرِ فِي قَلْـبِ رَجُـلٍ إِلَّا أَوْشَـكَ أَحَدُهُمَـا أَنْ يُخْـرِجَ صَاحِبَـهُ)[1].

عـلى أن حمايـة العقل أمـر تقره الفطـرة السـليمة فضلًا عـن تعاليـم الأديان السـماوية؛ لـذا رأينا بعـض العرب في جاهليتهـم أنِفـوا أن يشربوها، وهجروهـا، ورأوها مُذهبةً للعقـل، مُسـلبة للـمال، مُسـقطة للمـروءة، فهـذا أبـو بكر الصديـق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـد حـرّم الخمـر عـلى نفسـه، فلـم يشربهـا في الجاهليّـة، وذلـك أنّـه مـرَّ برجل سـكران يضـع يده في العـذرة ويدنيهـا مـن فيـه فـإذا وجـد ريحهـا صرف عنها، فقـال أبـو بكـر: إنّ هذا لا يـدري مـا يصنـع، فحرّمها أبو بكـر عـلى نفسـه[2]، وفي الأثـر: سُـئل أبو بكـر الصديق في مجمـع مـن أصحـاب رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل شربت خمـرًا في الجاهليـة؟ قـال: أعـوذ بالله، قالـوا: ولِمَ ذاك؟ فقـال: كنت أصـون عـرضي وأحفـظ مـروءتي؛ لأنـه مـن شرب الخمر

---

(١) صحيح ابن حبان، كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، ذِكْرُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ مُجَانَبَةِ الْخَمْرِ عَلَى الْأَحْوَالِ؛ لِأَنَّهَا رَأْسُ الْخَبَائِثِ، حديث رقم: ٥٣٤٨ .

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ٧/ ١٦٠، ط: دار الكتاب العربي، بيروت .

كان لعرضه ومروءته مضيعًا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: (صدق أبو بكر، صدق أبو بكر)[1].

ويلحق بالخمر في حرمتها كل ما يغيب العقل بأي طريقة كانت: شربًا أو شمًّا أو حقنًا، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: " نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ"[2].

وكما دعانا الإسلام إلى حماية العقل من المخدرات، دعانا إلى حمايته من الأخبار الكاذبة والشائعات المغرضة، وأمرنا أن نتثبت ونتحقق وأن نعمل عقولنا فيما يُعرض علينا أو يُنقل إلينا من أخبار، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[4]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي ١٢/ ٤٨٧، ط: مؤسسة الرسالة، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٠/ ٣٣٣، دار الفكر، بيروت.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التَّشْدِيدِ في الْكَذِبِ، حديث رقم: ٤٩٩٤.

(٣) [سورة الحجرات، الآية ٧].

(٤) [سورة النور، الآية ١٥].

﴿إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[1]، ويقـول نبينـا ﷺ: (كفـى بالمرء إثـمًا أن يحدث بكل مـا سـمع)[2].

❋ ❋ ❋

(١) [سورة النور، الآية ١٦].

(٢) مقدمة صحيح مسلم، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

المبحث السابع

حفظ "النسل والنسب والعرض"

المبحث السابع

حفظ "النسل والنسب والعرض(*)"

حرص الإسلام على عمارة الكون، فشرع النكاح؛ حفظًا للنسل والنسب معًا ، وحرم الزنا منعًا لاختلاط الأنساب؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[1] ، كما حرم نسبة الإنسان إلى غير أبيه، فقال ﷻ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ

(*) جمعتُ بين هذه الثلاثة "النسل، والنسب، والعرض" لوجود خيط دقيق رابط بينها جميعًا يتعلق بحفظ الكرام نسلهم، وأنسابهم، وأعراضهم، وعفة فروجهم وألسنتهم، مع تداخل وارتباط بعضها ببعض، وخروجًا من الخلاف في ذكر بعضها وترك بعض، أو التعبير ببعضها عن بعض.

(١) [سورة الإسراء، الآية ٣٢].

قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ الله مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا)[2] .

ونهى ﷻ نهيًا قاطعًا عن التعرض للنسل، وأكد في كتابه العزيز أن إهلاك النسل من أخص صفات المنافقين المفسدين، فقال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[3].

على أن العرض مسألة إنسانية تحدث عنها العرب في جاهليتهم وبعد إسلامهم بما يتسق مع فطرتهم السليمة، فهذا السموأل بن عادياء يقول[4]:

إذا المَرءُ لَم يُدنَّس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ
تُعَيِّرُنا أَنّا قَليلٌ عَديدُنا فَقُلتُ لَها إِنَّ الكِرامَ قَليلُ

---

(١) [سورة الأحزاب، الآيتان ٤، ٥].
(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ الْعِتْقِ، بَابُ تَحْرِيمِ تَوَلِّي الْعَتِيقِ غَيْرَ مَوَالِيهِ، حديث رقم: ١٣٧٠ .
(٣) [سورة البقرة ، الآيتان ٢٠٤ ، ٢٠٥].
(٤) ديوان السموأل ١/ ١٨.

وَمــا ضَرَّنــا أَنّــا قَليـــلٌ وَجارُنـا عَـــزيزٌ وَجــارُ الأَكثَريـنَ ذَليــلُ

ويقول عنترة العبسي[1] :

لا تسقنـي مــاءَ الحيـاةِ بـذلـــة بل فاسقني بالعزِّ كأس الحنظــــل

ويقول الشنفري[2]:

وأستف تـرب الأرض كي لا يـرى بـه علـي مـــن الطــول امـرؤ متطول

ويقول سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه [3]:

أصـون عــرضي بمـــالي لا أدنســـه لا بارك الله بعـد العــرض في المــال

ويقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4]:

ســأمنح مالي كل من جــاء طالبًـــا وأجعلـه وقفًـا على القرض والفــرض
فإمــا كريم صُنت بالمــال عرضــه وإمــا لئيم صُنت عن لـومه عـرضي

ويقول البارودي[5]:

خُلِقْــتُ عَيُوفًــا لا أَرَى لابْــنِ حُــرَّةٍ لَدَيَّ يَدًا أُغْضِي لهــا حِيــنَ يَغْضَـبُ

---

(١) ديوان عنترة، ص ١٥٧، ط : دار المعرفة، بيروت.
(٢) ديوان الشنفري، ص٦١، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.
(٣) ديوان حسان بن ثابت، ص ١٩٢، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
(٤) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ١/ ٩٠، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
(٥) ديوان البارودي، ص ٤٥، ط: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

ويقول الآخر(١) :

إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤهُ   فلا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤهُ
حياءَك فاحفظْه عليك فإنَّما   يدلُّ على فضلِ الكريمِ حياؤهُ

ولحفظ العرض حرَّم الله تعالى الزنا، فقال ﷻ :﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴾(٢) .

كما نهى عن مجرد القُرب منه، فقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾(٣)،وقال ﷻ:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٤)، ويقول ﷻ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ

(١) اختلف في نسبة الأبيات إلى قائلها، فمنهم من نسبها إلى طرفة بن العبد، ومنهم من نسبها إلى صالح بن عبد القدوس. ينظر: تهذيب ابن عساكر ٦/ ٣٧٦، على أنها إلى أسلوب صالح بن عبد القدوس أقرب منها إلى أسلوب طرفة، وهناك من ينسبها إلى الشافعي.
(٢) [سورة الفرقان، الآية ٦٨].
(٣) [سورة الإسراء، الآية٣٢].
(٤) [سورة النور، الآية ٢].

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

وأمر بغض البصر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

وكما أمر سبحانه وتعالى بغض البصر أمر النساء بعدم ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ

---

(١) [سورة الممتحنة، الآية ١٢].

(٢) [سورة النور، الآيتان ٣٠، ٣١].

﴿ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[1] وشرع حد القذف لحفظ الأعراض وحمايتها من النيل منها أو المساس بها، فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2]، وعدَّ نبينا ﷺ قذف المحصنات من الكبائر، فقال ﷺ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)، قيل: يا رسول الله وما هنّ؟ قال : (الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتيم، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِناتِ الْغافِلاتِ)[3].

وقد سمَّى القرآن الكريم رمي المحصنات إفكًا، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ

---

(١) [سورة الأحزاب، الآية ٣٢].

(٢) [سورة النور، الآية ٤].

(٣) صحيح البخـاري، كِتَابُ الحُدُودِ، بَابُ رَمْيِ الْمُحْصَنَاتِ، حديث رقم : ٦٨٥٧، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، حديث رقم: ١٤٥.

ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[2].

ومما يؤكد التشديد على هذا النكير أن حد القتل يثبت بشهادة رجلين عدلين، أما حد الزنا فلا يثبت إلا بشهادة أربعة رجال عدول، فإن نكل أحدهم عن الشهادة أقيم حد القذف على الثلاثة الآخرين؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[3].

---

(١) [سورة النور، الآيات ١١- ١٣].

(٢) [سورة النور، الآيات ١٥- ١٩].

(٣) [سورة النور، الآية ٤].

ونهانا ديننا الحنيف عن الغمز واللمز والسباب والفسوق والسخرية، يقول الحق ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

والعرض له معنيان، خاص وهو ما ينال الإنسان في شرفه وشرف أهله من زوجة وبنت وأم وبنت أخت وعمة وخالة وسائر المحارم، وعام وهو أوسع من ذلك وأعم وهو كل ما يمس الإنسان في كرامته، في إنسانيته، في مروءته، في سائر تصرفاته، وهذا سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه يقول في رده على أبي سفيان بن الحارث[2]:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ

أَتَهجوهُ وَلَستَ لَهُ بِكُفءٍ ... فَشَرُّكُما لِخَيرِكُما الفِداءُ

هجوتَ مباركًا برًّا حنيفًا ... أمين الله شيمَتُهُ الوَفاءُ

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ؟

(١) [سورة الحجرات، الآية ١١].

(٢) ديوان حسان بن ثابت، ص ٢٠.

فَـإِنَّ أَبِي وَوَالِـــــدَهُ وَعِـــرْضِـي لِعِـــرْضِ مُحَمَّـــــدٍ مِنْكُمْ وِقَــــاءُ

لســـــاني صـــارمٌ لا عيب فيــــه وبحـــــري لا تُكَـــدِّرُهُ الـــــدلاءُ

وقد حرَّم الإسلام الاعتداء على الأعراض عامها وخاصها، أو النيل منها بأي وجه من الوُجُوه فأولاها عنايةً خاصةً، وأوجب صيانتَها والمحافظةَ عليها.

ومن صـور الحـفاظ عـلى الأعـراض حـثُّ الإسـلام على عفة الفرج والبطن، فأما عفة الفرج فهو مما تزكو به النفوس، وتسلم به المجتمعات، ويحفظ به الأمن، وتصان به الأعراض، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ)[1]، ويقول صلى الله عليه وسلم: (اضمنوا لي ستًا من أنفسكم، أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم)[2].

وأما عفّة البطن، فيقصد بها تحري الحـلال في كـل ما يدخـل الـبـطن من طـعـام أو شـراب أو غـير ذلك،

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ، حديث رقم: ٦٤٧٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين، كِتَابُ الْحُدُودِ، حديث رقم: ٨٠٦٦ .

فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْم: (اسْتَحْيُوا مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ) قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَسْتَحِي وَالْحَمْدُ لله، قَالَ: (لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحَى مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظْ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى وَلْيَحْفَظْ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى وَلْيَذْكُر الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ)[1] .

فعلى العاقل أن يحفظ عرضه خاصًّا وعامًّا؛ حيث إن الإنسان ما هو إلا عرض، يقول نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت)[2] .

* * *

(١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم : ٢٤٥٨٦ .

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ، حديث رقم: ٦١٢٠ .

الموضوع

منافذ بيع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم
١١٩٤كورنيش النيل - رملة بولاق
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة
ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠ ــ ٢٥٧٧٥٢٢٨
٢٥٧٧٥١٠٩ داخلى ١٩٤

مكتبة مركز الكتاب الدولى
٣٠ش ٢٦ يوليو ــ القاهرة
ت: ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو
١٩ ش ٢٦ يوليو ــ القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف
٣٦ش شريف ــ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى
٥ ميدان عرابى ــ التوفيقية ــ القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين
مدخل ٢ الباب الأخضر ــ الحسين ــ القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان
١٣ش المبتديان ــ السيدة زينب
أمام دار الهلال ــ القاهرة

مكتبة ١٥ مايو
مدينة ١٥ مايو ــ حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة
١ ش مراد ــ ميدان الجيزة ــ الجيزة
ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة
خلف كلية الإعلام ــ بالحرم الجامعى
بالجامعة ــ الجيزة

مكتبة رادوبيس
ش الهرم ــ محطة المساحة ــ الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون
ش جمال الدين الأفغانى من شارع محطة
المساحة ــ الهرم
مبنى أكاديمية الفنون ــ الجيزة

مكتبة ساقية عبدالمنعم الصاوى
الزمالك ــ نهاية ش ٢٦ يوليو
من أبو الفدا ــ القاهرة

مكتبة الإسكندرية
٩٤ ش سعد زغلول ــ الإسكندرية
ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية
التمليك ــ المرحلة الخامسة ــ عمارة ٦
مدخل (أ) - الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس
مبنى الملحق الإدارى ــ بكلية الزراعة
ــ الجامعة الجديدة ــ الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد
بجوار مدخل الجامعة
ناصية ش ١١، ١٤ ــ بورسعيد

مكتبة أسوان
السوق السياحى ــ أسوان
ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط
٦٠ش الجمهورية ــ أسيوط
ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا
١٦ ش بن خصيب ــ المنيا
ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)
مبنى كلية الآداب ــ جامعة المنيا ــ المنيا

مكتبة طنطا
ميدان الساعة ــ عمارة سينما أمير
ــ طنطا
ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى
ميدان محطة السكة الحديد
عمارة الضرائب سابقًا ــ المحلة

مكتبة دمنهور
ش عبدالسلام الشاذلى ــ دمنهور
مكتب بريد المجمع الحكومى ــ توزيع
دمنهور الجديدة

مكتبة المنصـــورة
٥ ش السكة الجديدة ــ المنصورة
ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكـتـبـة مـنـوف
مبنى كلية الهندسة الإلكترونية
جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية
مكتبة طلعت سلامة للصحافة
والإعلام
ميدان التحرير ــ الزقازيق
ت : ٠٥٥/٢٣٦٢٧١٠
ت: ٠١٠٠٦٥٣٣٧٣٣٢


الهيئة المصرية العامة للكتاب

